



النَّوَاطِلُ الأدَبِيَّةُ

مجلة نصف سنوية محكمة ومفهرسة

تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن
جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

الرقم التسلسلي: 15 / جوان 2020

رقم المجلد: 09 / رقم العدد: 02

رتم د: ISSN: 1112-7597 / رتم د: EISSN 2588-2333

رقم الإيداع: 2007-4999 Dépôt légal

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باجي مختار - عنابة -
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية



التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة ومفهرسة
تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة
تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د / عبد المجيد حنون
رئيسة التحرير: أ.د / سامية عليوي

أمانة التحرير:

- أ.د / سامية عليوي allioui.samia620@gmail.com
- د / خضرة حمراوي hamraouikhadra86@gmail.com
- أ / سليم لسود la.salimhoho@gmail.com

رقم المجلد: 09 / رقم العدد: 02 الرقم التسلسلي: 15 / جوان 2020

منشورات مخبر الأدب العام والمقارن

رتم د: ISSN: 1112-7597 / رتم د: EISSN 2588-2333

رقم الإيداع: 2007-4999 Dépôt légal



العنوان: مختبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة - 23000 / الجزائر

الموقع الإلكتروني: llgc.univ-annaba.dz

البريد الإلكتروني: ettawassol.eladabi@gmail.com

التّرقيم الدولي الموحد للمجالات: ISSN 1112-7597

ر. ت. م. د.إ: EISSN 2588-2333

رقم الإيداع القانوني: 2007-4999 Dépôt légal



الهيئة الفخرية:

- 1/ أ.د. مختار نوبوات (جامعة باجي مختار - عنابة-) / الجزائر
- 2/ أ.د. بيار برونال (جامعة الصوريون) / باريس
- 3/ أ.د. حسام الخطيب (جامعة قطر) / قطر
- 4/ أ.د. يوسف بكار (جامعة اليرموك) / الأردن
- 5/ أ.د. عز الدين المناصرة (جامعة فيلادلفيا) / الأردن

لجنة العدد العلمية:

- 1- أ.د. عبد المجيد حنون (ج. عنابة) / الجزائر
- 2- أ.د. محمد إبراهيم حور (الجامعة الهاشمية) / الأردن
- 3- أ.د. رشيد شعلال (ج. عنابة) / الجزائر
- 4- د. محمود عبد الغفار غيضان (ج. القاهرة) / مصر
- 5- أ.د. صالح ولعة (ج. عنابة) / الجزائر
- 6- أ.د. عبد الحليم حسين الهروط (ج. العلوم الإسلامية العالمية) / الأردن
- 7- أ.د. عبد الرحمن تيرماسين (ج. بسكرة) / الجزائر
- 8- د. عباس يداللهي فارساني (ج. تشمران-الأهواز) / إيران
- 9- أ.د. صالح بورقي (ج. عنابة) / الجزائر
- 10- أ.د. نادية هناوي سعدون (ج. المستنصرية) / العراق
- 11- أ.د. مليكة بن بوزة (ج. الجزائر 2) / الجزائر
- 12- أ.د. هالة بن مبارك (ج. تونس) / تونس
- 13- أ.د. نصر الدين بن غنيسة (ج. بسكرة) / الجزائر
- 14- أ.د. أحمد يحيى علي (ج. عين شمس-القاهرة) / مصر
- 15- أ.د. بشير إيرير (ج. عنابة) / الجزائر
- 16- أ.د. بينيديكت لوتولي (ج. لارنيون) / فرنسا
- 17- د. حميد بوحبيب (ج. الجزائر 2) / الجزائر
- 18- د. ن. شمسناد (جامعة كيرالا) / الهند
- 19- أ.د. وحيد بن بوغزيز (ج. الجزائر 2) / الجزائر
- 20- أ.د. محمود علي حسينات (ج. اليرموك) / الأردن
- 21- أ.د. رشيد قريبع (ج. قسنطينة) / الجزائر
- 22- د. حافظ عبد القدير (ج. بنجاب- لاهور) / باكستان
- 23- أ.د. حفيظ ملواني (ج. البلدة) / الجزائر
- 24- أ.د. محمد القرعان (ج. اليرموك) / الأردن
- 25- د. سميرة صويلح (ج. عنابة) / الجزائر
- 26- أ.د. حيدر غيلان (جامعة صنعاء) / اليمن
- 27- أ.د. عباس بن يحيى (ج. المسيلة) / الجزائر
- 28- د. جلال خشاب (ج. سوق أهراس) / الجزائر
- 29- أ.د. إدريس اعبيزة (ج. محمد الخامس/أكسال) / الرباط/المملكة المغربية
- 30- أ.د. مصطفى كبحل (ج. عنابة) / الجزائر
- 31- د. مدحية عتيق (ج. سوق أهراس) / الجزائر
- 32- د. فلة بن عابد (ج. عنابة) / الجزائر
- 33- د. آمنة بن منصور (ج. عين تيموشنت) / الجزائر
- 34- أ.د. محمد بكادي (ج. م. تامنغست) / الجزائر
- 35- أ.د. سامية عليوي (ج. عنابة) / الجزائر

شروط النشر في المجلة

الشروط الشكلية:

1. يُكتب البحث وفق النموذج* المعدّ سلفاً، بعد تحميله من صفحة المجلة على البوابة الإلكترونية للمجلات العلمية (ASJP) من خلال النّقر على خانة "تعليمات للمؤلف".
2. يُكتب البحث في نسخة إلكترونية بصيغة word في صفحة مقاسها (24×16 سم)، مع أطراف هامشية للصفحة على الشكل التالي: 2.5 سم من أعلى الصفحة، و2 سم من أسفل الصفحة ومن يمينها وشمالها.
3. لا يجب أن يتجاوز حجم المقال 25 صفحة و لا يقلّ عن 15 صفحة.
4. تكتب البحوث العربية بخط (Traditional Arabic) حجم 16، والهوامش 14، أمّا البحوث الأجنبية، فتكتب بخط (Times New Roman) مقاس 14، والهوامش 12.
5. تكون الهوامش آليّة وفي آخر المقال، ويوضع رقم الهامش في المتن بين قوسين مرتفعاً عن سطر الكتابة، أما في الحاشية فيكون رقم الهامش من غير قوسين وفي مستوى سطر الكتابة.
6. تكون المسافة بين الأسطر في المقالات المكتوبة بالعربية 1 سم، أمّا البحوث المكتوبة باللغتين الفرنسيّة أو الإنجليزيّة فتكون المسافة 1.15 سم.
7. يُرفق البحث بملخص باللّغتين العربيّة والإنجليزيّة، (لا يقل عن خمسة أسطر ولا يزيد عن العشرة)؛ تحدّد فيه الإشكالية وأهمّ العناصر والنتائج؛ ويُرفق بكلمات مفتاحية (باللّغتين) لا تقلّ عن خمس كلمات ولا تتجاوز العشرة.
8. تُخصّص الصّفحة الأولى من المقال لكتابة العنوان بالبنط العريض (بحجم 20 إن كان بالعربيّة و18 إن كان بغيرها) وسط السّطر، ويكون تحته من جهة اليسار اسم

المؤلف (اسم ثلاثي على الأكثر)، ثم تحته اسم المؤسسة أو الجامعة التي ينتمي إليها الباحث، ويليهِ البريد الإلكتروني.

9. باقي الصفحة الأولى يخصص لكتابة الملخص باللغتين جنباً إلى جنب (كما هو موضح في النموذج المرفق)* بحجم خط 12 بالعربية و 11 بالإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية.

10. تكتب العناوين الرئيسية في المقال بحجم 16 (غليظ Gras) من أول السطر، أما العناوين الفرعية فتزاح عن أول السطر بمسافة 1 سم، وتكتب بحجم 14 (غليظ Gras).

11. إن كان المقال يحتوي على أشكال وجداول فالأولى أن تكون في شكل صورة لتفادي وقوع أي خلل، وإلا فتوضع في آخر المقال مع وضع علامة للإحالة عليها.

12. لا يترك فراغ قبل الفاصلة والنقطة وعلامات التعجب والاستفهام، ويكون الفراغ بعدها وجوباً، كما لا يترك فاصل بين الواو وما بعدها.

13. يكون رأس الصفحة آلياً ومتمايزاً بين صفحة فردية وزوجية كما هو مبين في النموذج المرفق*. يكتب في رأس الصفحة الأولى اسم المجلة ورقم المجلد والعدد وسنة الإصدار... وفي التالية يكتب اسم صاحب المقال (اسم ثلاثي على الأكثر) وعنوان البحث (مختصراً).

الشروط الموضوعية:

1. تنشر المجلة البحوث والدراستات العلمية الأصيلة التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، شريطة ألا تكون منشورة بأية صيغة كانت، أو مقدمة للنشر.

2. يُرفق المقال بتعهد موقع من طرف المؤلف يؤكد عدم نشر المقال، أو تقديمه للنشر في أية جهة أخرى.

3. تنشر المجلة البحوث باللغة العربية أساساً، وباللغتين: الفرنسية أو الإنجليزية.

4. تُنشر المقالات المترجمة شرط أن ترفق بالنص الأصلي.
5. يتحمّل الباحث مسؤولية تصحيح بحثه وسلامته من الأخطاء.
6. تخضع كلّ البحوث للتحكيم العلمي، ويخطر الباحث بالتّأج.

إجراءات النشر:

1. لا تعبّر المقالات بالضرورة عن رأي المجلة.
 2. يخضع ترتيب الموضوعات لاعتبارات فنية لا غير.
 3. لا يشترك في المقال الواحد أكثر من مؤلّفين اثنين (02).
 4. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها نُشرت أم لم تُنشر.
 5. يُشترط لنشر المقال أن يُدرج الباحث قائمة المصادر والمراجع (ببليوغرافيا المقال) منفصلةً عبر حسابه على البوابة.
 6. لا يحقّ للباحث الذي نُشر مقالته بالمجلة أن يُعيد نشره مرّة أخرى بأيّ صيغة كانت، إلّا بإذن كتابي من رئيس التحرير.
 7. حقوق النشر والطّبع محفوظة لمجلة "التّواصل الأدبي" ولجامعة باجي مختار/عناية.
- * ترسل البحوث على عنوان المجلة عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP) بصفة حصريّة، عبر هذا الرّابط:

<http://www.asjpcerist.dz/en.PresentationRevue/82>

* للاستفسار الرّجاء التّواصل عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

ettawassol.eladabi@gmail.com

تقييم المقالات:

1. تُعرض المقالات على للتحكيم السري عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية حصراً.
2. كلّ مقال لا يحترم الشّروط الشّكلية في كتابته يتمّ رفضه تلقائياً ولا يحال على التّحكيم.

3. في حال استيفاء المقال لشروط النشر، تقوم هيئة التحرير باختيار محكمين اثنين، وقد تستعين بثالث لترجيح أحد الرأيين إن كان بينهما اختلاف في قرار القبول أو الرفض.
4. تكون ملاحظات المحكمين إما بالقبول، أو بالقبول مع تعديل كبير أو بسيط، أو بالرفض.
5. لهيئة التحرير صلاحية قبول أو رفض أي مقال أو بحث دون إبداء الأسباب، وذلك وفق ما تقتضيه الموضوعية العلمية.

أحكام ختامية:

1. العضوية في إدارة المجلة طوعية.
2. النشر في المجلة مجاني.
3. لا يُدفع للباحث مكافأة عن نشر بحثه في المجلة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	10-13
أ.د / سامية عليوي	
1. د/ جلال خشاب	14-43
الأدب الهامشي رؤية في المفاهيم والأبعاد	
2. أ.د / حفيظ ملواني	44-73
جدلية الحقيقة والمنهج "قراءة في تأويلية جادامير"	
3. أ.د / نادية هناوي	74-111
سرديات الاحتواء:	
تموضعاتها وتمثيلاتها في الرواية النسوية العراقية	
4. أ.د / نصر الدين بن غنيصة وأ / إيمان بن غنيصة	112-131
إشكالية الأمومة في الخطاب النسوي الغربي	
5. أ.د / محمود يوسف حسينات	132-147
المودة المفقودة بين الأنا والآخر: سكان البلقان في عيون الأدب الألماني	
الكاتب الألماني كارل ماي أنموذجاً	
6. أ.د / بشير إبرير	148-167
هستيريا الدم لعز الدين جلاوجي	
قراءة في دفاتر الذاكرة المجروحة: الكتابة النصية للتاريخ	

7. أ.م.د / إشراق سامي الربيعي 168 - 187
الشعرية في مجموعة "لا تقصصي القصص يوم الأربعاء"
لدني غالي
8. د / يحي أحمد رمضان غبن 188 - 209
التراث التاريخي وتفاعلاته الأجناسية
في رواية "تجليات الزوج" لمحمد نصار
9. د / محمد صلاح بوشتلة 210 - 229
بورخيس صانع المتاهات
في متاهة ترجمة "الأعمى حارس المكتبات" إلى العربية

الكلمة الافتتاحية

رُوي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قول الرسول (ﷺ): "إذا قامت الساعة، وبید أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها". فطوبى لجميع من غرسوا فسائلهم في زمن الكورونا.

نضع بين أيدي قرائنا عددنا الخامس عشر الذي كان فيه طاقم المجلة (وأخصّ اللّجنة العلمية) شموعا احترقت لتضيء وجه مقالات العدد، وتقدمها لقرائها بيضاء من غير سوء.

يضمّ هذا العدد تسع مقالات تنوّعت بين مقالات نظرية وأخرى تطبيقية.

أول مقال في العدد، يُجلي مفهوم الأدب الهامشي، تحت عنوان: "الأدب الهامشي رؤية في المفاهيم والأبعاد"، يقدّم فيه الباحث مقاربة لمفهوم الأدب الهامشي وترجمات المصطلح من الإنجليزية والفرنسية، وخلفيات تصنيفه، كما يثير مسألة أدبيّته وانفتاحه على المنظومات الأدبية والثّقافات الأخرى.

أمّا باقي المقالات الأخرى، فذات طابع تطبيقي، تناولت الدّراسات التأويلية، والنّسوية، والأنا والآخر، والشّعريّة، وغيرها..

نستهلها بمقال بعنوان: "جدلية الحقيقة والمنهج -قراءة في تأويلية جادامير-" الذي يُجلي فيه الباحث تأويلية جادامير، ويقدّم صورة عامّة عن مشروعه في التأويل لفهم الحقيقة وفق ما هو متاح؛ ويحاول الإجابة عن سؤال: هل حقيقة العلوم الطّبيعية تماثل ما هو في صميم العلوم الإنسانية وبالأخصّ النّموذج الفنّي الأدبي؟. ثمّ يقدّم قراءات للممارسات التأويلية التّطبيقية من خلال مجموعة من النّصوص التي جمعت بين التّراثي والحداثي، العربي والغربي.

ثاني مقال يحمل عنوان: "سرديات الاحتواء: تموضعاتها وتمثيلاتها في الرواية النسوية العراقية"؛ ويجب المقال عن تساؤلات كثيرة منها: مفهوم النسوية، السرد النسوي، الرواية النسوية (البدايات، الرواية النسوية في العراق)، الاحتواء (الأمومي، الاحتواء الأنثوي، الاحتواء التكويني..)؛ ويخلص المقال إلى أنّ سرديات الاحتواء في الرواية النسوية العراقية تقوم على استمالة النسوية للذكورية من دون تحارب ولا نزاع، وخصوصية السرد النسوي واختلافه عن السرد الذكوري السائد، وتأکید فاعلية المشروع النسوي العراقي في الكتابة الإبداعية.

ثالث مقال تطبيقي، لا يتعدد كثيرا عن الخطاب النسوي، وعن المرأة وقضاياها، إذ يتناول "إشكالية الأمومة في الخطاب النسوي الغربي"، ويركّز على قيمة الأمومة التي تتنازعها رؤيتان متناقضتان، إحداهما تدين اختزال هوية المرأة في خاصيتها البيولوجية (مثلة في الإنجاب)، والأخرى تراهن على الانتصار لقيمة الأمومة كسلطة مضادة؛ ليخلص المقال في النهاية إلى أنّ قيمة الأمومة ارتبطت بقضية حقوق المرأة (تنازعه الحركات النسوية: بين جعلها مكسبا أو مرتبة لا يبلغها الرجال، وبين جعلها معادلا للعبودية).

أمّا رابع مقال، فقد طرح فكرة الأنا والآخر، الأنا الألماني والآخر المسلم، وحمل عنوان "المودة المفقودة بين الأنا والآخر - سكان البلقان في عيون الأدب الألماني-"; وقد طرح المقال كتابات كارل ماي في ميزان النقد، حيث كان الشّيق الإسلامي وبلاد البلقان من المواضيع الأساسية التي أخذت حيّزا كبيرا من أعمال كارل ماي الذي خصّ بلاد البلقان بثلاث روايات وقف صاحب المقال على أهمّ القضايا التي وردت فيها، وأقام بحثه على إشكالية: هل كانت الصورة التي أعطاها كارل ماي لسكان البلقان سلبية أم إيجابية؟، وهل أسهمت كتاباته في رآب الصّدع أم أنّها هدمت الجسور وعمّقت الخلافات الثقافية، وفي المقال إجابة عن هذه التساؤلات.

خامس مقال تطبيقيّ، "هستيريا الدّم لعزّ الدّين جلاوجي - قراءة في دفاتر الذاكرة المجرّحة: الكتابة النصّية للتّاريخ"، اهتمّ بالأدب الجزائري، ويقدم قراءة في رواية "هستيريا الدّم" لعزّ الدّين جلاوجي، من خلال عنصرين أساسيين: قراءة العنوان بوصفه نصّاً موازيا؛ وقراءة العلاقة بين الأدب والتّاريخ وعلاقة التّخيلي بالتّاريخي في هذه الرواية. ليخلص الباحث في نهاية المقال إلى أنّ الرواية عالجت موضوعاً مهمّاً يبحث في العلاقة بين الأدب والتّاريخ؛ ثمّ كيف يتحوّل التّاريخ والتّخيل إلى مقولتين تاريخيتين من خلال التّيش في جروح الذاكرة وذلك عبر الدفاتر التسعة المكوّنة للذاكرة.

سادس مقال اتخذ المجموعة القصصية "لا تقصصي القصص يوم الأربعاء لدني غالب" مدوّنة تطبيقية، للوقوف عند الشّعيرية في هذه المجموعة القصصية، من خلال التّركيز على جملة من الإجراءات الفنّية، مثل: تكثيف اللّغة، ورمزية الحدث أو الشّخصية. ليخلص البحث في النّهاية إلى أنّ هذه المجموعة القصصية تستعصي على التّصنيف الأجناسي، وتحدّد القواعد التّقليدية السّردية، إذ تتحرّر بعض القصص من الأساليب السّردية المعتادة لتقترب من القصيدة التّثريّة، في حين تحتفظ أخرى بالتوصيفات القصصية الواضحة كالفكرة والشّخصيات والفضاء.

سابع مقال، يحمل عنوان: "التّراث التّاريخي وتفاعلاته الأجناسية في رواية تجلّيات الرّوح لمحمّد نصّيار". ويسعى هذا البحث إلى استجلاء الاستدعاءات التّراثية التّاريخية ودورها في رواية تجلّيات الرّوح؛ كما يسعى إلى استقراء الشّعيرية من خلال دراسة حدود المتخيّل التّراثي والتّخيل الإبداعي، من خلال تقنية التّناس، ورصد أشكال التّفاعل والتّداخل بين النّصوص الأدبية والتّراثية: كالتّفاعل مع السّيرة، والأسطورة والرواية والمسرح.

ونختتم هذا العدد بمقال عن كتاب "بورخيس صانع المتهاتات" الذي يقدم فيه الباحث قراءة في كتاب جمع المترجم "مُجد آيت لعميم" بين دفتيه مجموعة من مقالات بورخيس التي ترجمها آيت لعميم، وأخرى عن ردود فعل قراء بورخيس عبر العالم، ومن ثقافات ولغات مختلفة؛ لذلك كان من الصّعب تصنيف هذا الكتاب، هل هو كتاب نقدي أم هو عمل عن أثر بورخيس في الكتاب النّاشئين؟ أم هو عن نظرية الترجمة عند بورخيس؟ وكيف لا يكون الكتاب إشكاليا مادام مؤلفا في الكاتب الأرجنتيني "بورخيس" ويجيب عن سرّ إعجاب بورخيس بكتاب ألف ليلة وليلة، وبقصائد الهايكو اليابانية، إنّه درس الدهشة الأدبية (الأرجنتينية / اللّاتينية) الممزوجة بالدهشة اليابانية والإغريقية، عن كاتب يقول: "رأيت الأرض فوق الألف".

وعموما، فالمقال عبارة عن قراءة راقية مشوّقة في كتاب "بورخيس صانع المتهاتات" للمترجم المغربي مُجد آيت لعميم.

يخضع ترتيب المقالات لاعتبارات تقنية لا غير.

ختاما، نتمنى أن يجد قراءنا في عددنا هذا ما يشفي فضولهم المعرفي، ويثري تطلّعاتهم الثقافيّة. كما نھيب بمن زرعوا فساھلهم في زمن الوباء، وينتظرون أن تطلع سيقاھا باسقة في السّماء، تمّد القراء بالھواء والغذاء. كما لا ننسى الباحثين الذين نشكر لهم ثقتهم في المجلّة، ولو لا تلك الثّقة ما كان العدد ليصدر، وما كانت المجلّة لتستمر.

فشكراً لمن غرس، وشكراً لمن سقى، وشكراً لمن تعهّد بالرّعاية، وفائدة نرجوها لمن يتغذى بالثمر "التّواصل الأدبي".

رئيسة التحرير

أ.د/ سامية عليوي

الأدب الهامشي رؤية في المفاهيم والأبعاد

د / جلال خشاب

تاريخ الإرسال: 2019/11/24

جامعة سوق أهراس / الجزائر

تاريخ القبول: 2020/04/19

khechabjalel@yahoo.fr

Abstract:

Marginal literature is one of the concepts produced by the Western criticism during the sixties of the last century, based on the changes in form and content involved in the new writing which led the critics to classify it in the circle of marginality without paying attention to its components and characteristics. This vision needs to be reviewed in view of what these writing scurried looking forward to be part of creative worlds relevant to the contemporary culture. In this concern, my paper entitled "Marginal Literature, A Vision in Concepts and Dimensions" works to approximate the concept of marginal literature and the classification backgrounds raising therefore, the issue of literariness and the openness of this genre of literature on other literary and cultural institutions

Key words:

Marginal literature, literariness, criticism, literature of parallelism.

الملخص:

يعد الأدب الهامشي من المفاهيم التي أفرزتها المؤسسة النقدية الغربية خلال ستينيات القرن الماضي، مستندة إلى ما انطوت عليه الكتابات الجديدة من تغيرات في الأشكال والمضامين، دفعت النقاد إلى تصنيفها في دائرة الهامشية دون الالتفات إلى مكوناتها وخصائصها.

وهي رؤية تستدعي المراجعة بالنظر إلى ما حملته تلك الكتابات من جدة وتطلع إلى عوالم إبداعية مرتبطة بثقافة العصر.

وفي هذا الفضاء تتنزل مداخلتي الموسومة بـ "الأدب الهامشي، رؤية في المفاهيم والأبعاد"، حيث تعمل على مقارنة مفهوم الأدب الهامشي وخلفيات التصنيف مع إثارة مسألة الأدبية وانفتاحات هذا النوع من الأدب على المنظومات الأدبية والثقافات الأخرى.

الكلمات المفتاحية:

الأدب الهامشي، الأدبية، المؤسسة النقدية، الأدب الموازي، الخطاب الأدبي.

توطئة:

عديدة هي الرؤى الفاحصة والمعالجة للتجربة الأدبية وتفاعلاتها مع المعترك الفكري والثقافي والاجتماعي، وفق منطلقات متباينة الأسس والدوافع.

وفي هذا الفضاء يشهد المنجز الإبداعي مقاربات نقدية تضعه في دائرة التفاعل والاهتمام تارة، وأخرى تبعده عن ما هو أصيل ومبتكر، وتسقط عنه أسباب الأدبية دون الإفصاح، أحيانا، عن مرد ذلك عدا نأيه عن الساحة الأدبية ومخالفته لقواعد باتت في أمس الحاجة إلى المراجعة المتأنية والراجعة، وعلى وجه الخصوص، تلك المتعلقة بالموضوعات الأدبية الموسومة بالثبات، مخالفة في ذلك حقيقة النبض الإبداعي ذي الحركة الدائمة والمتفاعلة مع مستجدات العصر. كما أن الفصل في هذه المسألة ولد إشكالية التصنيف ما بين أدب رسمي وأدب هامشي أو موازي.⁽¹⁾

إشكالية التعريف:

لعل من أبرز العقبات التي تعترض الدارس في مجال الأدب الهامشي، هو تفتادي أو إغراض بعض الباحثين عن الخوض في هذا المجال لأسباب قد تبدو موضوعية⁽²⁾ بيد أن جودة الموضوع وحدائته في الساحة النقدية الغربية والعربية على حد سواء يستدعي، في شيء من الفضول، تعريفا يقارب حقيقة هذا النوع الجديد، لذا نجد أنفسنا أمام تعريفات قليلة، تتقارب جميعها في الإشارة إلى الحقبة التاريخية التي ظهر فيها وما يتضمنه من أشكال تعبيرية، ويعد "فرانسيس لأكسان" Francis Lacassin من أبرز المهتمين بموضوع الهامشية في الأدب والفن، حيث عمل على تأسيس مجلة فنية تعنى بالسينما موسومة بـ "التاريخ المضاد للسينما Contre histoire du Cinéma، ومن ثم مضى إلى تأسيس نادي "الشريط المرسوم" فضلا عن إنشائه لمجلة النادي "GIFF-WIFF" والتي عمل كتابها أمثال "جون كلود فورست

"J.C.Forest" و"دلفين سيريج" Delphine seyrig و"إدغار موران" Edgar Morin على شرعنة فن مهمش، وعلى وجه الخصوص "ف. لاكاسان" F.lacassin الذي دافع عن قضية التمييز ما بين الأنماط الفنية، من خلال توظيفه لمصطلحي "الفن الحقيقي Art Véritable" و"الفنون الصغيرة Arts Mineurs". وهو الإشكال الذي دفعه إلى تنظيم ملتقى "سيريزي Cerisy" تحت عنوان "أدب وأدب هامشي (موازي Littérature et paralittérature).⁽³⁾

كما دافع كل من "بيكاس ألبير" Pigasse Albert و"جورج سيمونون" George Simenon عن مسألة الأدب الهامشي، واعتبارا التصنيف إجحافا إثر العودة إلى المنجزات الإبداعية مثلما فعل "بيكاس Pigasse" بعد جمعه للروايات البوليسية كلون أدبي متميز بموضوعات الإثارة المستوحاة لقارئ مختلف، بعض الشيء، عن ذاك الأنموذج المؤلف، فضلا عن مستجدات العصر الثقافية وحتى الاقتصادية.⁽⁴⁾

أما موسوعة ويكيبيديا «Wikipédia» فتعتبره نتاجات أدبية انحدرت من "الآداب الشعبية"، مع نهاية القرن التاسع عشر، والتي تنهل بدورها من أدب التجوال «Littérature de colportage». فهي آداب عديدة يستوجب تصنيفها وترتيبها ضمن أقسام كبيرة مثل: «الآداب التأملية» «Littératures spéculatives» كالرواية البوليسية، ورواية الخيال العلمي، والعجائبية وأدب المغامرات «Littératures de l'aventure» «كرواية التجسس والوستر» إضافة إلى "الآداب ذات التوجه السيكلوجي"، من روايات عاطفية وروايات وردية وكذلك "الآداب الأيقونية" «Littérature iconique» كالروايات المصورة ورسومات الأطفال والأدب الوثائقي «La littérature documentée» والذي يضم كلا من الرواية التاريخية ورواية الوقائع، والرواية الريفية.⁽⁵⁾

وسعيا لإيجاد تعريف يرقى إلى الدقة والصواب يعترف الباحثون "جون موريس روزيي" J.M. Rosier « و"ديدي ديون" « Didier Dupont » و"إيف روتير" Yves Reuteur « بصعوبة الإحاطة بهذا الموضوع الجديد، حيث اكتفوا بالإشارة إلى أن الأدب الهامشي: « هو سعي لاستجماع كل الأنماط التعبيرية ذات الخاصية الغنائية أو السردية، والتي عرفت تهميشا لدواع إيديولوجية واجتماعية؛ هذا التهميش كان سببا في نشأة الرواية المسلسلة والرواية البوليسية والرواية الوردية، وكذلك الأغنية الشعبية والخيال العلمي... إلخ. مما يدعو إلى ضرورة دراسة هذا النوع الأدبي المزدوج "أدب وأدب هامشي" تزامنيا «Diachroniquement»⁽⁶⁾.

ومن خلال مراجعتنا للتعريفين لا نلمس فصلا في حقيقة المسمى الجديد « Paralittérature » بقدر ما نعثر على إشارات عامة وعابرة تحملنا على البحث في ماهية الأدب الهامشي.

في المصطلح:

لقد ضمت الساحة النقدية الحديثة مصطلحين هما "الأدب الهامشي" و"الأدب الموازي" علما أن التسمية في اللغة الإنجليزية هي الأدب الهامشي « Littérature Marginale »، وفي اللغة الفرنسية « Paralittérature » أي الشبيه والمشابه، وأما مصطلح (Infralittérature) فذو أصول علمية مثل (Infrarouge)⁽⁷⁾.

ومن باب التيسير المنهجي تم تثبيت مصطلح الأدب الهامشي مقابلا لـ«Paralittérature»⁽⁸⁾ قصد إزالة كل لبس وتمكين الباحث من معرفة الحقل الذي هو بصدد دراسته. وهو حقل يكتنفه الغموض الشديد بشهادة الباحث "دانيال كويناس" «Daniel Couegnass» الذي يرى أن ملفوظ «Paralittérature» يحمل في ذاته العديد من الإشكالات المنهجية، الثقافية وحتى الإيديولوجية، إذ يمكننا القول بأنه لم يوظف في يوم ما أو يطلق بشكل حيادي، حتى إنه من باب

الحيطة، قد وضع ما بين شغلتين مما يوحي للمرسل باستعماله من جانب الحذر، فضلا عن تركيبة الملفوظ في حد ذاتها والتداخل القائم ما بين «Para» و«Infra»، وما ينبني على التركيبتين من قبول ورفض.⁽⁹⁾ وفي موقف نقدي واضح يشير الباحث إلى أن ملفوظ «Paralittérature» يطرح العديد من التساؤلات ولا يقدم أجوبة كافية.⁽¹⁰⁾

ولعل هذا الموقف يطرح بدوره تساؤلا جوهريا يتعلق بحقيقة الأدب الهامشي وآليات انتقائه وتصنيفه، مما أوقع "فرانك إفرارد" «Frank Evrard» في تردد معتبرا فكرة تصنيف "الرواية السوداء" ضمن الأدب الهامشي ضربا من ضروب التجني والاعتباطية في التصنيف.⁽¹¹⁾ وفي اجتهاد منه لرفع اللبس اشترط "كويناس" «D. Couegnas» ستة شروط يعرف من خلالها انتماء العمل الإبداعي إلى الأدب الهامشي.

أولا: محيط النشر وما يتضمنه من معرفة العلامات المادية كالتقديم والغلاف الخارجي المصور، والسلسلة التي ينتمي إليها، وما يجب توفره من علامات نصية مثل العناوين، فضلا عن العقد الفعلي المحدد للنوع.

ثانيا: الميل إلى الأخذ بالشروط المألوفة مثل أنواع الأمكنة، الديكور والأوساط، والأوضاع الدرامية والشخصيات... المؤثرة في المتلقي.

ثالثا: وجوب توفر القدر الكافي من البنى النصية ذات القدرة على خلق الفضاء المرجعي، وتحرير الضمير بفعل القراءة، ومحو ظاهرة التلقي من خلال الوسائط الكلامية.

رابعا: رفض الحوارية «Dialogisme» وعلى وجه الخصوص القسر الإيديولوجي لتأثيره سلبا على القارئ.

خامسا: هيمنة السرد على البناء النصي عامة، كون أهمية الرمز المعرفي ذا أثر تشويقي في القراءة المعمقة والمطولة.

سادسا: دور الشخصيات في التعريف وتمكين القارئ من الاطلاع على الأدوار، وتسهيل مهمة القراءة التعريفية « La lecture identitaire »⁽¹²⁾.

وفي حديثه عن كيفية تعريف الأدب الموازي يطرح "آلان ميشيل بوير" «A. M. Boyer» "إشكالية يصعب من خلالها إيجاد تعريف للأدب الموازي، إذ يعتقد أن تعريفه هو بمثابة قتل له، وكذلك قولته في أطر وأشكال دون أن يتم الكشف بعد عن جميع أنواعه الإبداعية وخصائصه الفنية"،⁽¹³⁾ لذا يخرج بوير برأي يدعو من خلاله إلى ضرورة إخضاع الأمر للدراسة المستفيضة، لأن التعريف المقدم لا يفي بحقيقة هذا المبحث الجديد مستشهدا برأي "تينيانوف" (J. TyniAnov) الذي يعتبر "أدب المجموعة أو أدب الشعب" «Littérature de masse» «لم يصل به الأمر بعد إلى تبين الملمح النظري، ولا حتى إلى مناهجه أو معانيه».⁽¹⁴⁾

وما يمكن استخلاصه من كلام "بوير" «Boyer» أنه ليس تعريفا وافيا، بقدر ما هو تعريف شبه مغلوط، إذ الأدب الهامشي هو تلك الأشكال التعبيرية التي تخرج عن دائرة الأدب الفصيح والتي لم تكتسب شرعيتها بعد من المؤسسة الأدبية.⁽¹⁵⁾ كما يسلك مسلك "كويناس" في رسم شروط الأدب الهامشي والتي حددها في أربعة قيم هي النوع «La série»، المهيمنة «La Dominante»⁽¹⁶⁾، الديكور «le Décor»، وعقد القراءة «Le contrat de lecture». ويعتبر "دانيال فونداناش" «Daniel Fondaneche» الأدب الهامشي «مجموع الإبداعات غير المصنفة في خانة الأدب الرسمي، وهي تلك المتعلقة بالمغامرات والعجائبية وبالروايات السيكلوجية والأيقونية والتاريخية».⁽¹⁷⁾

النشأة والتطور:

أ- في الولايات المتحدة الأمريكية:

كانت انطلاقة الأدب الهامشي في الولايات المتحدة الأمريكية مبكرة، حيث أرجعتها الدراسات إلى أواخر القرن التاسع عشر نتيجة الظروف الاقتصادية وانعكاساتها على الساحة الثقافية والاجتماعية⁽¹⁸⁾ حيث تعد منشورات «Dime Novels» أولى قصص المغامرات التي تصدرها مجلة أسبوعية للإخوة "أراستيس" «Erastus» و"إروين بيدل" «Erwin Beadle» إذ كانوا يخصصون عددا لكل قصة كاملة. وقد صادفت مثل هذه المنشورات الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها أمريكا على حدودها الغربية سنة 1880، وهي الفترة التي تبوأ فيها الرواية البوليسية مكانة لائقة، وعلى وجه الخصوص الأحداث الخيالية الشهيرة لـ«Bufallo Bill»، إضافة إلى شخصيات «Didwood Dick» وما يجده القارئ من متعة في ما يقدم على صفحات الأعداد المتسلسلة، والتي تحولت إلى مغامرات "فانتوماس" «Fantomas» و"هرقل" «Hercule»⁽¹⁹⁾.

ومع بداية القرن العشرين عوضت مجلة «The Novel Dime» بمجلة «Pulps» وهي مجلة لا تختلف في جوهرها ومسارها عن المجلة السابقة، مع الاهتمام بنوعية الورق لما لها من أثر في الإخراج، وكذلك في العرض والتأثير انطلاقا من سنة 1895. كما كانت تسمى «News Print» نسبة إلى المادة العجينية المستخلصة من الحطب ولسعرها الملائم. ثم سرعان ما ظهرت مادة جديدة تعرف بـ«Slicks» أو «Slick paper magazin» وتتفرع عنها «The New Yorker» الموجهة للنخبة القارئة. ويوضح "بوير" «Boyer» أن التطور المهم الذي شهده الأدب الهامشي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمسينيات قد تبلورت مظاهره من خلال الروايات الوردية «Love Story» «Lamance Glamaious» وكذلك روايات الجوسسة «Spy Story».

ب- في فرنسا:

لم تحفل المعاجم اللغوية والأدبية الفرنسية بمصطلح "الأدب الهامشي" إلا في النصف الأخير من القرن الماضي لدواع متنوعة أفرزتها متطلبات العصر، حيث لم يشير معجم «Le Petit Robert» صراحة إلى المصطلح المذكور في حين اكتفى الجزء الثالث المتعلق بتاريخ الآداب الصادر عن منشورات الثريا «Pléiade» بإشارة عابرة إلى الأدب الهامشي، ليظل الأمر على حاله إلى غاية سنة 1967 حيث عقد أول ملتقى بسريري «Cerisy» شمال فرنسا لمناقشة حقيقة هذا الأدب⁽²⁰⁾ إذ لم تستقر الآراء على تعريف محدد نتيجة تنوع المادة المعالجة وتعدددها، فجاءت التسمية "الأدب الموازي" والأدب الهامشي «Paralittérature» توفيقاً ما بين المواقف الواردة في المداخلات كإدراج الأدب الشعبي والآداب الأخرى ذات الاستقطاب والتأثير، نحو أدب العجائبية والروايات البوليسية في فضاء عام يعرف بالأدب الموازي قصد تمييزه من الأدب الدوني «Infralittérature». وفي هذا الفضاء البحثي يشير "روجي بوزيتو" «Roger Bozetto» إلى أن الباحثين دعوا في مؤتمراتهم إلى تفعيل العديد من المقاربات مسايرة للمحتوى والتنوعية بيد أنها اصطدمت بموضوعي الأدب والأدبية، والليذان باتا يشكلان حجر الأساس في معادلة البحث الجديد⁽²¹⁾. وبالموازاة يراها "روسو أندري ماري" «André Mari Rousseau André Mari» قائمة على البحث عن جمهور نوعي مشكل لطبقة هادفة كما هو الشأن مع الآداب الموجهة إلى الأطفال.⁽²²⁾

وفي مجال التأسيس لهذا النوع من الأدب، سجلت جهود فريق بحث جامعة بوردو بإشراف "روبير إسكاري" «Robert Escarpit» الذي قطع شوطاً يقدر بعشرين سنة كما جاء في شهادة "ميشيل كولومب" «Michel Colomb».

إن مثل هذه الأعمال والدراسات المتوصل إليها جاءت نتيجة التطور الإعلامي وتأثيره في التوجه الاجتماعي، فضلاً عن نوعية الجمهور والقراء. (23)

وفي سنة 1964، يعرض "روبير إسكاربي" «Robert Escarpit» النتائج المتوصل إليها والمتمثلة على وجه الخصوص، في آلية توزيع الكتاب والتطور الذي شهدته أسواقه مما كان له الأثر البعيد في مقارنة القارئ بحسب الذوق والميل. (24) ومن هذا المنطلق تشير الباحثة "إيفا كوشنير" «Eva Kushner» إلى أن التقدم الحاصل في النوع الجديد من الإبداعات، جاء خاضعاً لتصور عام يضع في الحسبان الكتاب والمتلقي، ومن جانب آخر الكتاب، السوق، المتلقي. لذا نجد أنها تؤكد أن تراجع الكتاب أو تقدمه في الأسواق يخضع لهذه المعادلة. (25)

إن المراجعة التاريخية للخيال العلمي تبرز المكانة التي حققها، وفي الوقت نفسه إلى ما لاقاه من تعنت نقدي جعله يتأرجح ما بين الأدب الدوني «Infralittérature» والأدب الموازي «Paralittérature» بيد أن اللافت للانتباه أن الخيال العلمي بات يفرض وجوده على المؤسسة الأدبية الشرعية «Institut Littéraire Légitimée» في إطار مجموعة من الأنواع كالروايات الإشكالية «Roman D'hypothèses» والعجائبية العلمية «Merveilleux Scientifique».

لقد أوضحت كل هذه الأنواع الإبداعية تحيل على إشكالية إبداعية كبرى ما زالت لم تفتك اعتراف المؤسسة الأدبية الشرعية، ولأجل رفع اللبس عن هذا الإشكال يشير الباحث «Bozzetto» إلى أن المؤسسة الأدبية تعترف بالأدباء والكتاب الذين ينتمون إلى دائرتها، وكذلك المعترف بهم في الثقافة الرسمية كأدباء ومبدعين، أما كتاباتهم خارج المجال الأدبي فتصنف ضمن المتغيرات الموضوعاتية. (26)

وفي توضيح منه لهذا الموقف يؤكد "بوزيتو" «Bozzetto» أن التعارض القائم ما بين الأدب الشرعي وغير الشرعي «لا ينطلق من باب الجنس فحسب بل يجب

التميز، منذ البداية، ما بين الأدب الدوني «Infralittérature» والأدب الهامشي «Paralittérature»، وعلى وجه الخصوص هذا الأخير الذي ظل تأثيره محدودا في الخيال العلمي منذ فترة الخمسينيات دون الظفر بقانون خاص، وهي الفترة التي عرفت فيها فرنسا انفتاحا على الأدب الموازي الأمريكي، وعلى وجه الخصوص روايات الخيال العلمي «Romans Science Fiction» مع ترجمات أصحابها. والاستفزات النقدية الراضة للإبداع الجديد.⁽²⁷⁾

وأمام هذا التصلب والرفض الواضح من الساحة النقدية الفرنسية لم يبق أمام أنصار الأدب الهامشي سوى المضي قدما والتأليف تحت أسماء مستعارة، مما خلق جبهة باتت تؤسس لوجودها انطلاقا من الترجمات والتأليف، ليترب عن ذلك ظهور مجلات وبعض دور النشر تهتم بالمولود الإبداعي الجديد بدءا من نهايات 1949 مثل "علوم ومغامرات" "Science et aventure" وكذلك "Galaxie Anticipation – Vision Futur – Temps Futur"، لكن التجربة لم تكتب لها الحياة والاستمرارية بعد أعدادها الأولى. ثم تتجدد التجربة مع نشرة جديدة تعرف "بالشعاع العجيب" «Le rayon fantastique» بإشراف داري نشر هما «Gallimard» و«Hachette»، وهي تجربة فتحت الأبواب على مصراعيها للتعريف بهذا النوع من الأدب وآفاقه، حيث يلاحظ الباحث "بوزيتو" الانفتاح والتقدم الحاصل في المقالات التي تدعم النوع الجديد من الأدب من خلال هذا الجدول:

التاريخ	عدد المقالات	أعداد خاصة بالمجلات	/
1950	01	/	/
1951	10	/	/
1953	19	/	/
1954	13	02	04 مقدمات خاصة

أما المؤلفات بحسب ترتيبها الزمني فيمكن الإشارة إليها كالآتي:

عنوان الكتاب	الفئة
Stéphane Spriel (M. pilotin) " Roman de l'âge atomique " in nouvelles littéraires, Janvier 1951	1951
Barris Viau et Stéphane Spriel: " nouveau genre littéraire la science fiction " in l'observateur, Novembre 1951. Louis capace (Michel pilotin) importance avvenu de la science fiction" in l'observateur, Novembre 1951.	1951
Hachette Bouissou (Barris Viau) " le Roman d'anticipation s'appelle maintenant la science fiction, Maisil Continac.	
Raymond Queneau : la science fiction vainquera. Jits, Octobre.	1953

وما ينبغي إيضاحه هو أن الكاتب « Michel Pilotin » قد كتب تحت العديد من الأسماء المستعارة تجنباً للنقد اللاذع السائد في عصره، وهو في الوقت نفسه سلوك يؤكد شرعية العمل الإبداعي الجديد. (28)

إشكالية الأدب الهامشي على الساحة الأدبية والنقدية:

على إثر النجاحات التي حققها الخيال العلمي « Science Fiction » على الساحة الأدبية والثقافية في فرنسا وعلى وجه الخصوص في الفترة الممتدة من 1955 - 1965، مدعمة من المقالات الصحفية ودور النشر، مما كان لها الأثر

الواضح في اكتشاف نصوص أدبية ذات ميزات موضوعاتية وأسلوبية لا تؤرخ للخيال العلمي فحسب، بل وترسي، بل وترسي معالمه الإبداعية.

ولهذا السبب يعجل الباحث "إسكاربيت" « Escarpit » بإنشاء موقع للإبداع الجديد خوفا على زواله،⁽²⁹⁾ كما عمل على تأسيس ثلاثة مشاريع تهدف إلى ما يلي:

أولاً: خلق مرصد يسهر على جمع كل الأعمال الإبداعية المتعلقة بالخيال العلمي.

ثانياً: إرساء دعائم نقدية تتماشى والإبداع الجديد بدءاً بالبيوغرافيا والبيبلوغرافيا والموضوعات، وهي جميعها تمكن من الكشف عن خصوصيات العمل الإبداعي، مع الأخذ في الحسبان ما توصل إليه الباحث من خلال دعوته للعودة إلى الجذور الأولى للخيال العلمي في رحلة تخلصه من اعتباراتية الأحكام النقدية، والتأكيد على أن هذا الجنس من الإبداع قديم ارتبطت ولادته بالأدب، ومن جهة أخرى، كما يقول، نكون قد ميزنا ما بين أدب الخيال العلمي وغيره من الإبداعات الأخرى كرواية المغامرات والسفر العجيب.⁽³⁰⁾

وعلى الرغم من الخطوات الجادة لتحرير الخيال العلمي يبقى التردد على الساحة النقدية الأدبية قائماً، لكن اجتياح الأدب الهامشي مجالات الطباعة والنشر والقراءة أصبح أمراً واقعاً، وإن كانت هناك عقبات نقدية تعترض طريقه متخذة من المضامين السياسية والمظاهر الأدبية، وكذلك المسائل العامة، موقعا حساساً لضرب هذا النوع إشارة إلى بعض المقالات ذات الوجهة الشيوعية، والتي عدت من عيوب الأدب الهامشي، وعلى وجه الخصوص "الخيال العلمي" كونه يكرس الأنموذج الأمريكي والحرية المطلقة التي أعطيت للإبداع، مما خلق شرخاً في صفوف القراء بين مؤيد ومعارض،⁽³¹⁾ وعلى المجال النقدي حاول "روبير إسكاربيت"

« Robert Escarpit » الدفاع عن الخيال العلمي تحت اسم مستعار جاء شكل حوار: 1954 Réponse à un jugement téméraire fiction N° 11 Octobre
لكن صده بقي محدودا ذلك لتصلب الساحة النقدية الفرنسية.

الهامشية في الأدب العربي :

لقد وثقت المصادر الأدبية العربية أزمة النصوص الشعبوية وحتى الفصيحة منها، لا لأسباب أدبية ثقافية، ولكن لخلفيات ومواقف تنحدر من قرارات سلطوية، فاختلفت نصوص العديد من الشعراء الجاهلين ولم تحفظ سوى الأسماء، وقدم شعراء وأجبر آخرون، كما اختلفت قصائد المهجاء والتعريض بالمسلمين، ولم تحفظ لنا كتب التراجم الأدبية أسماء الأربعين الذين نازلهم جرير.

هي مواقف قليلة تبرز آلية الجمع والتصنيف المنتهجة، والتي لم تكن قائمة على ضوابط ومقاييس ترقى إلى القبول والإقناع بعد تسلل عوامل كثيرة، جاعلة من الفعل الإبداعي منعكسا للراهن السياسي والإيديولوجي السائد، فضلا عن مسائل أخرى عجّلت بالفصل بين الأنواع الأدبية، فبات ما يعرف بالأدب الهامشي والأدب الرسمي، علمًا أن للمسألة جذورا، حاولت المؤسسة النقدية إخفائها تحت ذريعة الأدبية أو ما سايرها.

إنّ المراجعة المتأنية للقرارات التي اتخذتها المؤسسة النقدية، وعلى وجه الخصوص الفرنسية تكشف عن مسائل خفية، حاولت هذه المؤسسة تلافيها لغايات سياسية وإيديولوجية أكثر منها أدبية وثقافية، لذا بات لزاما مراجعة فترات القرار والتي يمكن وصفها بالشائكة والمتداخلة بالنظر إلى الظروف التي شهدتها أوروبا من انهيارات على شتى المناحي عقب الحرب العالمية الثانية. وقد حاول الأدباء والمفكرون وصف تلك الأوضاع في كتاباتهم نحو ما ذهب إليه "جان بول سارتر" "Jean Paul Sartre" في ثلاثيته الروائية "الجدار، الذباب، الغثيان" والتي جاءت

جميعها عقب الحرب العالميّة الثانية متناولة حالات الانهيار والاضطراب التي حلت بأوروبا وفقدانها للريادة السياسيّة والثقافيّة إثر انتقالها إلى و.م.إ. والتي أصبحت مركز صنع القرار.

ولقد ترتب عن مثل هذا التحول المفاجئ تغيّرات في الرؤى الثقافيّة وفي القرارات النقديّة نحو الإبداع القادم من هذا العملاق الأمريكي، وعلى وجه الخصوص مؤلفاته الممجّدة للفكر وتفوّقاته في روايات الخيال العلمي، والتي عملت على تكريس صورة النموذج الأمريكي وما حققه من انتصارات.

وما يتضح من خلال هذا الطرح الوجيز هو أن مسألة التصنيف لم تراع المقاييس والموازن الأدبيّة والنقديّة، بقدر ما احتكمت إلى قرارات مركزيّة إيديولوجيّة أوروبية تراعي مفهوم "الوطن" "Pays" لا "الأمة" "Nation" وقد يكون مثل هذا الموقف سببا في رفض المؤسسة نفسها للطرح التفكيكي الذي جاء به "ديريدا" "Dérída"، لأن المجتمع الأمريكي يؤمن بالتعدد والتنوّع الثقافي وتموقع الذات المبدعة في مثل هذا الفضاء الشاسع مع المحافظة على قيمها ومكوّناتها، نحو ما نلمسه في رواية "أليكس هالي" "A. Haly" "Roots" "جذور"، والذي يرى أن تأليفها ليس تعصبا لعرقه وإنما جاء للإبانة عن رحلة جدّه الأول وما لاقاه من حيف، ليخلص إلى تأكيد ولائه للأمة الأمريكيّة.

كما تتجاوز مسألة الرفض للجنس الإبداعي، في حد ذاته، إلى تلك الموضوعات المنحدرة من الفضاء الأمريكي الشاسع وما شهده الرجل الأبيض من بطولة وتفوّق على الهنود الحمر، وحتى على ابن جلدته، فشاعت الحكايات الشعبيّة الممجّدة لرجل الوسترن، ثم سرعان ما وجدت متنفسا أوسع في المشهد المرئي.

لا شرعية الأدب الشعبي:

ومثلما عمدت المؤسسة النقدية إلى تصنيف المستحدث الإبداعي ضمن دائرة الأدب الهامشي كذلك فعلت مع الأدب الشعبي دون مراجعة موضوعاته وأدبيته، حيث تعاملت معه كمكوّن إيديولوجي وثقافي ينحدر من مشروع اشتراكي شيوعي يمجّد الطبقة البروليتاريّة، وهو ما يتعارض مع الفكر الرأسمالي ويحول دون استقراره وتوسعه بالنظر إلى محتويات الموروث الشعبي الضامنة للذات الجمعيّة وتوقعها في مثل هذا الفضاء الغريب عن المجتمع الأوروبي.

أما في العالم العربي، فقد عُيّد الأدب الشعبي إبداعاً هجيناً وغير سوي بدءاً من العصور الأدبيّة الأولى، حيث هُشّ وأعتبر أدب السوق وحبس حلقات الأسواق لا غير، بما في ذلك الأدب الفصيح الذي يتقاطع معه كالمقامات والطرائف.

ويعد الجاحظ من النقاد السابقين إلى الاهتمام بالأدب الشعبي على الرغم من ترجيحه للخط العربي الأصيل، غير أن الأبعاد التداوليّة لما رصده من موضوعات وطرائف تكشف عن وجه إبداعي آخر وذي انتشار لم يكتب له التمدد بحكم شفويته المتراجعة أمام قرارات المركز، والتي لم تهمش الشعبيّة الإبداعية فحسب، بل وحتى كل إبداع يرفض رؤية المركز، وهو ما نلمسه في مؤلفات التصنيف والتراجم وما انتهجه أصحابها من تقديم وتأخير لعوامل إلى الذاتية والنفعيّة أقرب منها إلى الموضوعيّة، فاحتفت أشعار كل من خالف الإستراتيجية القبليّة والدينيّة.

كما حفظ الأدب الشعبي ملامح عديدة من هويّة كل مجتمع عربي في عصور الدول المتتابعة وبات عنصراً فاعلاً في التعريض بسلوكات وسياسات الحكام،⁽³²⁾ لذا فإنّ خلود الأدب الشعبي ينبع في أساساً من تلك الحتمية المنبثقة من الذات، والمتطلّعة إلى فعل إبداعي وفق ما تقتضيه أفكارها ومشاربها، فبدت فلسفة الإبداع جلية واضحة تستجمع التصورات العقائدية والفكرية والفنيّة، ثم رسمها في مسارات

عديدة تبرز الاقتدار على الفعل الناجح المتوازن والذي يكشف بدوره عن عبقرية المواكبة وحسن التموّج، وهي إستراتيجية نلمسها في صور الإبداع الشعبي، ولعلّ التفاتتنا إلى اللّغز تبرز فلسفة فكرية وتواصلية تحتل إستراتيجية خطابية وتداولية،⁽³³⁾ فهو «تجسيد يمثل ثقافات مجموعات من السكان تتفاوت من حيث الأهمية وتذوب فيه الفرديات».⁽³⁴⁾

وعلى الرغم من هذه الانتصارات الخالدة لأدبنا الشعبي، إلا أن حضوره في المنهاج الدراسي الجامعي ضئيل للغاية، سواء في حجمه الساعي، أو في المحاور المخصصة له، والتي لا تتعدى التعريفات، مع إيلاء نشاط الجمع كل الاهتمام، علما أن المقاربة الفاحصة والواعية تستوجب اهتماما أوسع لأجل الكشف عن تلك البنى والترسبات بعيدا عن تلك الأحكام الجاهزة والخطابات المستنسخة Discours du cliché والمقولة للإبداع الشعبي وسط فضاءات مناسبة علما أن عملية الحفر لا تكشف عن الفلسفة التواصلية فحسب، بل وتمتد إلى تلك الرؤى الخطيرة، والتي يتوقف عليها مصير القبيلة،⁽³⁵⁾ وكيف تحوّل شقيق "لونجة" إلى غزال بدل أخته التي لازمته وشقت لأجله، حرصا على ترسيخ الرؤية الأنثوية، وما تكابده لأجل الثام الشمل، وتعويض حنان الأم.⁽³⁶⁾

ومن العقبات المانعة من ارتقاء الأدب الشعبي إلى مصفّه الحقيقي، هي تلك الرؤية القومية الضيقة، والتي تعتبر الاهتمام بالأدب الشعبي إثارة للنعرات الجهوية وتعطيل للخط القومي العربي في الوقت الذي تذهب دراسات أخرى إلى اعتماده في الإستراتيجية الاستعمارية الرامية إلى الإحاطة بأوضاع المجتمعات المستعمرة وما تتسم به من خصائص انطلاقا من موروّثها الشعبي، نحو ما اعتمده الأنثروبولوجي "شارل فيرو" "Charles Ferou" في إذكاء نار الفتنة ما بين العرب والبربر بتثبيته للمثل: العربي من غمزه والشاوي بالدبزه.

مركزية الأدب الشعبي:

إنّ تعاملنا مع الأدب الشعبي لا يتعلق بكيفية فهم خطاباته، وإنما في آلية استيعابنا وتفاعلنا معه بعيدا عن كل نعة أو تعصّب وإخضاعه لرؤية علميّة ونقدية، ولعلّ عودتنا إلى ما انتهجه المستعمر وحتى الحاكم من سياسات المنع والقهر تبرز خطورة هذا النوع من الإبداع القائم على المشافهة المستشرية في الوسط الشعبي، كون التجربة لا تخرج عن فعل المشافهة والمكاشفة التي يعتمد عليها المبدع، حيث تعتبر "هيلين تيسير" "Hélène Teisseire" «الشفوية راسخة في كتابات هؤلاء عبر مسار زمني بعيد، يتجلى في ذاك التلاؤم ما بين المبدع والتاريخ».⁽³⁷⁾

فالخطاب الأدبي الشعبي بمثابة الخطاب المركب والمستجمع لآليات تواصلية متعددة الغايات حيث إنّ شفويته «فن وذاكرة مجتمع متغيّر، متأقلم مع التاريخ، مفعّلا متخيّلاته».⁽³⁸⁾

وإلى جانب ما يحمله الأدب الشعبي من علامات لسانيّة وأبعاد تداوليّة فاعلة، فإنه ينطوي أيضا على تلك الروح المتجدّدة والتمردة على ذاتها. وعلى كل قيد، مما يعرض صاحبها إلى المسائلة وحتى إلى الأخطر⁽³⁹⁾. لما يتمّ الجهر بالعصيان ورفض كل سياسة حائدة عن مسارها السوي. وهو السلوك نفسه المنتهج في الجزائر، وكيف عمد المستعمر إلى تعطيل النشاط المسرحي لكن شفوية الأدب حلّقت به في جميع الأرجاء والأصقاع، فانتشرت الأغنيّة الشعبيّة الثوريّة وجميع القصائد الرافضة لكل قيد أو منع.

إنّ آلية التصنيف المعتمدة لم تأخذ في الحسبان موضوع الأدبيّة ولا خاصيّة الجنس بقدر ما راعت عوامل خارجيّة أفرزتها المركزيّة الإيديولوجيّة، والتي كان الأدب الشعبي إحدى ضحاياها.

● ما بين أدب القوميّة وقومية الأدب:

قد يبدو طرح المسألة ضرباً من ضروب المجازفة العلميّة بالنظر إلى التداخل ما بين الرؤيتين "أدب القومية وقومية الأدب" غير أنّ الغاية المنشودة هي محاولة إمطة اللثام عن هذا التداخل ورسم معالم تكفل لكل من الرؤيتين حدودها المعرفيّة والثقافيّة.

إنّ الالتفاتة المتأنيّة إلى الآداب القديمة لا تضعنا أمام إرث إبداعي وثقافي فحسب، بل وتمكّننا من مقارنة مسائل شتى انطلاقاً من تلك العلامات المتنوعة التي يحفل بها أدب هذه الأمم، والتي تحيل على مجموعة من التصورات ملازمة ملامح اجتماعية وثقافية وحتى سياسيّة ودينيّة.

ومن خلال مراجعتنا للإلياذة كمدونة شعريّة نجدتها تنطوي على صورة وجود المجتمع الإغريقي، وهو إبداع تناقلته الأجيال الإغريقيّة ثم تلقفته الأمم الأخرى، لكن التساؤل هنا يتعلق بكيفيّة التلقّي، ذلك أن تعامل الفرد الإغريقي مع إرثه الأدبي هو شكل من أشكال الحضور في أبعاده المختلفة، فباتت الإلياذة وثيقة لا تؤرخ لأمة عبر حقبة زمنيّة فحسب، بل وترسم مسارات مختلفة، وكأنّ بالذات الإغريقيّة العليا ارتأت ذلك وأرادت لهذه الإلياذة خلوداً دون غيرها من النصوص الأدبيّة الأخرى.

وإذا كان المجتمع الإغريقي حريصاً على تفاعل الأفراد والأمم دون الاكتراث للعامل العرقي، إلّا أنّ سياسة المركز ظلت حريصة على تزكية الفعل الإبداعي الإغريقي ومباركته متخذة من الإلياذة لساناً معبراً عن قوميتها، بما في ذلك معتقداتها وميثولوجيتها التي باتت جزءاً لا يتجزأ من هويتها، كما تحوّل "يوليسوس" رمزاً لكل إغريقي طموح لا يعرف التراجع والانكسار.

هكذا أراد المركز الإغريقي رسم هويته في ثوب يوحى بالشموخ والتعالي، وكذلك حال الرومان الذين رأوا في ملحمة فرجيل وجودهم وعظمتهم دون الالتفات إلى تلك الأمم التي شاركتهم انتصاراتهم وحضارتهم، مما يبرز حركة انتقائيّة لا تسمح

بمرور النص المخالف لما يبتغيه المركز الروماني المتعصب للعرق والمنتصر لكل نشاط ينطلق من بني جلدته.

ولا تختلف الأمم الأخرى في الانتقاء ورسم ما تتطلع إليه سواء في ملحمة "قلقامش" أو في "المهاجرات"، ولنا أن نتساءل ما إذا كانت مثل هذه النصوص الأسمى والأرقى، أم أن هناك يداً عليها كرس ذلك وحولته إلى عرف وديدن. وقد يقودنا مثل هذا السؤال إلى مراجعة نصوص عديدة حفظناها دون النظر في منطلقاتها أو مكوناتها وذلك لأسباب عديدة، ولعل أبرزها آلية التلقي التي ارتقت إلى حال الاعتقاد دون الانتقاد، حيث عبر عنه ميخائيل نعيمة بقول: «لأن أذواق السواد الأعظم منا مشوّهة بخرافات رضعناها من ثدي أمسنا وترهات اقتبلناها من كفّ يومنا». (40)

ولعلّ من التساؤلات المشروعة، هل حفل أدبنا العربي بالروح القوميّة أم بتمثلات قوميّات متعددة؟

إنّ المراجعة المتأنّية لتلك النصوص الشعرية ثم الثرية تبرز هيمنة واضحة على جميع المسارات الإبداعية بدءاً من العصر الجاهلي ودافعية التمييز والتفضيل، فأصبح العامل القومي والإقليمي مهيمنا على فكرة الجمع والتصنيف، مما ترتب عن ذلك صور لقوميّات لا لقوميّة واحدة، فاختلف شعراء واندثرت إبداعاتهم وحضر آخرون بمباركة الرواة، كما اختفت جميع القصائد المعرضة بالإسلام والمسلمين لدواع دينيّة تنبذ كل أشكال التعصب وما قاربها من أفعال، بيد أنّ هذا الموقف لم يكتب له الوقت الوفير وطفّت على الساحة الأدبيّة في العهد الأموي صنوف شتى من الشعر والخطابة تؤكد وجود قوميّات لا قوميّة واحدة، بفعل اكتساح المد الإسلامي للربوع المجاورة، بيد أنّ الانتصار كان للعرق العربي دون غيره مثلما جسّده عبد الملك ابن مروان في جلساته، فارتسمت أسماء الشعراء المتتردين على القصر وغابت كثر، ولم

نعرف من مبارزي جرير الأربعين إلاّ النزر اليسير، لأن المؤسسة السياسيّة والنقديّة ارتأت ذلك، وبدا لنا أدب مصطبغ بقوميّة إلى الإيديولوجيا أقرب منها إلى الفكر والثقافة.

وكذلك جسد لنا العصر العباسي مثل هذه المواقف، ولو أن الحضور الشعري كان بارزا في ردود أفعال بشار و أبي نواس على وجه الخصوص، لكن الفعل الأدبي الناطق لحال لسان القوميّة العربيّة يستمد منطلقاته من مؤسسة القصور العباسيّة ما بين تسييق للعنصر العربي أو تأخيرته مثلما حدث في عصر الدول المتتابعة، وكيف شهد الوجود العربي تراجعاً رهيباً.⁽⁴¹⁾

وانطلاقاً من هذا الطرح يتبيّن أن صورة القوميّة التي دعت إليها النصوص الأدبيّة جاءت منقوصة كونها تأتمر بأوامر عليا، لذا جاء الأدب مواكبا لرؤى وقرارات أكثر منه إغراقاً في مقارنة المواجهس والاهتمامات، حيث يفهم ذلك من باب الالتزام القصصي لكل فعل يخالف صورة الأمة المبتغاة مثلما فعل السوفييات في تقسيمهم للأدب، معتبرين كل ما جاء قبل سنة 1917 أدبا روسيا بينما سمي الآخر بالأدب السوفيياتي، مستثنين في ذلك كلا من "غوركي" (Gorki) و "تولستوي" (Tolstoi) و "مايكوفسكي" (Maikovesky) لأن نصوصهم تتقاطع مع الفكر الطلائعي، لكن انتحار مايكوفسكي يبرز حقيقة التنافر مع الفكر المفروض، وهو إذابة إبداعات القوميات في فضاء قوميّة واحدة، نحو ما حصل في أدبنا العربي قديمه وحديثه والاكتفاء بجنسيّة المبدع دون الالتفات إلى منبته أو جهته، غير أنّ بوادر التجدد والانفتاح في العالمين الغربي والعربي أبانت عن الجديد، فاتضحت معالم آداب جديدة كانت مغمورة لأسباب لا يعلمها إلا صاحب القرار، فلم يعد هناك أدب يوغسلافي بقدر ما نجد أدبا بوسنيا وصربيا، فضلا عما هو سائد لدى التشيك بعد أن كان ملحقا بالسلافي.

كما كان للأدب المكتوب باللغة الفرنسية في شمال إفريقيا اهتمام لدى المؤسسة النقدية الغربية، والتي ألحقته إليها بحكم الحرف، بيد أن آراء كثيرة تؤكد على الهوية المغاربية لهذا النوع من الأدب نتيجة ظروف تاريخية وسياسية «ففي كل مرة تطفح طبقة معينة تحتل الصدارة، وكأن الهوية عبارة عن نسيج من الطبقات تتداخل فيها وتتفاعل الميكروهويات (الانتماء إلى القبيلة، العشيرة، الجهة الترابية، الأثنية...)» هذا ما يجسد الطابع الديناميكي للهوية، فهي دائمة الحركة والانتقال، تتشكل وتتفكك ويعاد بناؤها وتوظيفها وإنتاجها وفقا لحاجات الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين واستراتيجياتهم...»⁽⁴²⁾. وفي هذا الشأن يرى "جون ك نويس" (J.K. Noes) «أنه في الوقت الذي تبحث الحركة الوطنية الإفريقية عن هوية وطنية موحدة، تبدو الهويات الوطنية الأخرى التي سيطرت على عصر الإمبراطورية في جنوب إفريقيا أكثر قوة وأكثر خطورة»⁽⁴³⁾. ومن ثم يطرح الباحث تساؤلا آخر وهو مصير الأدب الوطني أمام حالة الفوضى التي تتخبط فيها الهويات في جنوب إفريقيا.

ب- أدبية الأدب الهامشي:

تتجلى الغاية من طرق الأدبية في الكشف عن الخصائص العامة والخاصة لهذا المصطلح، ومحاولة تقفي آثاره في الأجناس الإبداعية المتعلقة بالأدب الهامشي،⁽⁴⁴⁾ بيد أن الأمر اللافت للنظر هو صعوبة عرض تعريف موحد للأدبية نتيجة اختلاف المدارس وتنوعها، في حين يبقى الأساس الواجب توفره دائما هو حضور النص الأدبي، فالباحث "جانوس بيتوفي" «Janos S. Pétôfi»، وفي مقال له موسوم بـ: "نظرية النص تداوليا ودلاليا"، يعتبر أن «نصيبا وافرا من الدراسات النحوية واللسانيات النصية لا تعالج سوى المظاهر المعزولة، ولا تسعى إلى تطوير مفهوم شامل»⁽⁴⁵⁾. وهي رؤية تؤكد اهتزاز مفهوم الأدبية الذي لم يرق بعد إلى الاستقرار والوضوح، وحتى من خلال عودتنا إلى قاموس اللسانيات "لجورج مونان" «George Mounin»

نجد تعريف "فيتال جاد بوا" « Vital Gad bois » بأن: « الأدبية موضوع لمعطى علم الأدب، تعرف من خلال البنية والوظيفة الخاصة للخطاب الأدبي، وهو ما يضم تعريف اللاأدبية، «Non Littérarité»، وأن الأدبية بالنسبة للأدب، كعلاقة اللغة بالكلام عند سوسير، أي ما تشترك فيه الأعمال الأدبية في الجانب التجريدي كنظام».⁽⁴⁶⁾ والملاحظ أن التردد الوارد في هذا التعريف، لا يختلف عن سائر التعريفات اللسانية التي تتعامل مع الخطاب الأدبي بشيء من الحيطه والحذر على الرغم من محاولة تكييف البحث اللساني مع العمل الأدبي باعتباره حدثا تواصليا ما بين الباث والمتلقي، منتجا لمعان دلالية وصرفية وصوتية شتى. وهو تطور حاصل بعد أن كان الخطاب محصورا في الجوانب التاريخية والنفسية.

إن المدرسة الشكلائية الممثلة في كل من "حلقة موسكو" وكذلك في حلقتي "لنينغراد" و"براغ" «Le cercle de léningrad et le cercle de Prague» تدعو إلى البحث وإلى إرساء المفهوم العلمي للأدبية «La littérarité». ففي مقال له "القصيدة الروسية الجديدة" أرسى "جاكسون" الفرق ما بين القصيدة ككلام للوظيفة الجمالية، والكلام العاطفي للحياة اليومية معترفا بموضوع الأدب لا الأدبية.⁽⁴⁷⁾ لقد توجه الشكلاونيون إلى مقابلة اللغة الشعرية المدروسة باللغة اليومية مولين اهتماما واضحا إلى المعطيات الصوتية، القياسية، المورفولوجية، والصرفية التي تدخل جميعها في هيكلة النص.

كما ترى "جوليا كريستيفا" «J. Kristiva»: « أن الشكل ليس وعاء لكنه اندماج حيوي وملمس يتضمن بدوره محتوى».⁽⁴⁸⁾ ولأجل استخلاص القوانين الجمالية قارن الشكلاونيون الروس الأعمال الإبداعية ما بين بعضها بعضا وأكدوا أن كل عمل إبداعي خلق من خلال التوازي أو مقابلته بأنموذج «Modèle» ومن ثمة أرسى الشكلاونيون الأسس الأولى لمصطلح التناص «Intertextualité».

وعلى الرغم من الجهود التي سجلها الشكلاونيون في موضوع الأدبية، فإن الآفاق ظلت مغلقة طالما أن العمل ينطلق، في مجمله، من فكرة مقابلة اللغة الأدبية باللغة اليومية أو العلمية، لتتحدد خصوصية النص الأدبي في الإيجاء، بينما تتوقف النصوص الأخرى عند المطابقة، ولأجل الإبانة عن مثل هذه المستجدات تستوقفنا محاولة "جاكبسون" في دراسته لنصوص الأدبية المجموعة في عدد خاص يعرف بأسئلة الشعرية «Questions de Poétique»، كان أشهرها دراساته "قطط بودلير" «Chats de Baudelaire» وهي بمثابة امتداد للدراسات الشكلاونية بما في ذلك التشيكية*، فهي دراسة تحمل في طياتها العديد من اليقين ذي الطابع العلمي والتي تنطلق من مبدأ الملاحظة، لتهتم بتحديد دقيق للتنظيم «Rimes»، وتمكينه من تشكيل تقسيم داخلي وخارجي. وهو الأمر نفسه المتبع مع الكلمات، أي أسماء الأشياء، وكذلك الأشكال وأسماء الشخصيات ليتوصل في نهاية المطاف إلى إيجاد معلمين هما الصرفي والدلالي، واللذان ينتظمان من خلال توافقهما.⁽⁴⁹⁾

إن المنطلقات المعتمد عليها في معالجة الأدب الهامشي ليست منطلقات الشكلانيين، ولا حتى المواقف النقدية اللغوية عامة، بل هي أحكام المؤسسة النقدية أو المؤسسة الأدبية (Institution littéraire) التي تتوجه إلى خصائص النص مكتفية بالجنس أو بالشكل. وهو موقف يتسم بنوع من الصلابة والاعتباطية، كون الأدب الهامشي، في أغلب أجناسه، يسلك الطريقة التعبيرية نفسها التي تسلكها القصة والرواية، مما يضع النقد في موقف حرج من أمره.⁽⁵⁰⁾

إن تهميش هذا النوع من الأدب لا ينطلق من خصوصية البناء الفني الوارد في نصوصه، بل من أحكام تكاد تكون جاهزة صادرة عن مؤسسة لا تؤمن بالأشكال التعبيرية الجديدة مهما توافرت عليه من شروط فنية وموضوعية، وكأنها أحكام مستمدة من مواقف تتعصب لكل ما هو إبداع متعارف عليه ومتواتر عبر السنوات

والقرون، فضلا عن ذلك، فإن الموقف النقدي لا يخلو من التوجيه المتأثر بالساحة العامة التي تحتكم بدورها إلى المؤثرات الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية، ذلك أن الأجناس الأدبية المألوفة لا تحمل في طياتها ملامح الأدبية فحسب، بل هي ترجمة لرؤية أو لرؤى فكرية وثقافية ودينية، وكأن هذه الأجناس قد قطعت الطريق أمام الأدب الهامشي والحكم عليه مسبقا دون النظر إلى أشكاله التعبيرية وخصوصية البناء. لذا فإن المواقف النقدية الراضية تستمد مرجعيتها من عوامل مختلفة بما في ذلك التجارية وحتى الاقتصادية، خاصة وأن هذا النوع من الأدب قد اكتسح الساحة وفرض نفسه بشكل لافت للنظر. إن النقد الموجه إلى الأدب الهامشي لا يعدو أن يكون نقدا عاما يتضمن الرفض دون الولوج في نصوصه المختلفة وهو موقف يخالف حقيقة النقد الهادف.

فمفهوم الأدبية المهتز، وما يتم الاستناد إليه من أبحاث الشكلايين لا يعني عدم تطبيق ذلك على نصوص الأدب الهامشي بمراعاة الفترة التي ظهرت فيها أبحاث الشكلايين، وهي حقيقة لا بد من التوقف عندها، مع التأكيد الذي يرقى إلى اليقين من أن النص العجائبي يتوفر على شتى الخصائص الأسلوبية والفنية الواردة في استنتاجات هؤلاء.

إن النظرة الدونية إلى الأدب الهامشي جعلته بعيدا عن مصاف الأدب العام دون الأخذ في الحسبان التطورات والأحداث التي يعرفها العالم والتي يمكن التعبير عنها بشتى الأشكال قد أخذت تراعي اهتمامات المجتمع وتطلعاته. ومما لا شك فيه أن التطور المشهود لعالمنا بدءا من بدايات القرن الماضي حمل في طياته رغبات وأفكارا وجدت متنفسا لها في إبداعات أدبية جديدة كسيطرة الصورة على ثقافة الفرد وتحول الاهتمام إلى التلفزيون أو السينما. هذا التطور خلق إبداعا جديدا يعرف بالرواية السينمائية ورسومات الأطفال، وأفلام المغامرات وغيرها، والتي فرضت نفسها على

الساحة الثقافية، في الوقت الذي تعنتت المؤسسة الأدبية في قبوله. وعلى العموم، فإن البحث عن مفهوم الأدبية لدى الشكلايين لا يتوجه إلى حقيقة النص الأدبي، وإنما إلى حقيقة المنهج المطبق على النص، وهو أمر يخفي الشيء الكثير.

الأدب العام، الأدب المقارن، الأدب الهامشي: مقارنة في العلائق

اهتمت المدارس الأدبية والنقدية بموضوع الأدب والأدبية فجاءت تعريفاتها متباينة نابعة من فلسفة كل اتجاه، كذاك القائم ما بين المدرسة الكلاسيكية والواقعية في النص الأدبي الشعري وما يستوجب توفره من شروط يتحتمس لها كل فريق. وكذلك الشأن ما بين الواقعية وغيرها من المدارس والاتجاهات الأخرى، كالواقعية والرمزية والوجودية، فضلا عن التيارات النقدية الحديثة. فمفهوم الأدب والأدبية قديم عصي بتلك الطروحات التي جاء بها كل من أفلاطون وأرسطو حتى بدا لنا الأدب والفلسفة هيكليين لعامل واحد في أغلب الأحيان.

بيد أن تلك المواقف وما شهدته من اهتمامات نقدية لاحقة لم تفصل بدورها في الأمر واكتفت بالإشارة إلى تغير النص الأدبي وحركيته النابعة من الرؤية خاصة، لنجد أنفسنا أمام نصوص أدبية عديدة موحية ذات أشكال وأجناس مألوفة، حاول الأدب المقارن مقاربتها ومعالجتها من زوايا مختلفة أهمها التأثير والتأثير الواردان في نصين أدبيين مختلفين لغويا وجغرافيا، إلى جانب الغايات الأخرى التي يصبو إليها المقارن كتحديد علامات محيط التأثير والإبانة عن الناقل والمنقول عنه، مع رسم الدلائل المادية والمعنوية وكيفية انتقال العمل الإبداعي من فضاء جغرافي إلى آخر، في رحلة يوضح فيها الأسباب الداعية إلى ظهور الدراسة، لنسجل في ساحتنا النقدية الحديثة الكثير من الأحكام والتصورات النقدية النابعة من دراسات حديثة لا تمس النص الأدبي فحسب، بل وتتعداه إلى غيره من النصوص الأخرى. ولعل أبرز دليل على ذلك مسألتا التناص (Intertextualité) والمناصصة (paratextualité).

فهما لم يعودا من لوازم الدرس النقدي بل يتجلمان في الخطابين الإشهاري وفي الرواية البوليسية والفلم وغيرها من الأجناس الأخرى المنضوية تحت لواء الأدب الهامشي. ومن خلال العودة إلى الخطاب الإشهاري نجده خطابا مؤلفا من خطابات مختلفة، ففيه يتضح ظل الخطاب الإعلامي والأدبي والنفسي والاقتصادي وغيره، وكذلك الفيلم وما يتخلله من خطابات أدبية، كقراءة البطل لقصيدة شعرية، أو استماعه لمقتطفات أدبية أو موسيقية طالما أنه أشبه إلى حد بعيد بالحركة الكبيرة النابعة من نمط البناء إذ أن نمطه يخضع لخصوصيته. وطالما أن الحديث مقصور على الخطاب الهامشي، فإن الأشكال التعبيرية الأخرى لم تكن بعيدة عن الساحة الأدبية بل قاربتها أخذا واستلهاما، وكذلك شأن المبدع في تعامله مع الحياة العامة وتقاطع إبداعه مع الأشكال التعبيرية الموازية.

إن توافر الرواية البوليسية على العديد من الخصائص الفنية بدءا بجمالية السرد ودقة الوصف وقدرة التأليف اللغوية، تحملنا في العديد من المرات إلى مراجعة موضوع الأدبية الذي يأخذ شكلا جديدا ومفهوما آخر في مجال الفيلم؛ ليتبين في نهاية المطاف أن هذا الأخير رواية مصورة راعت الشروط الشكلية للعرض محتفظة بتلك العناصر والمكونات التي تجعلها أيضا تتقاطع مع الخطابات الأدبية.

الهوامش:

- 1- يتألف ملفوظ «Paralittérature» من وحدتين لفظيتين الأولى «Para» الإغريقية، والمراد بها بجانب «à coté de»، والثانية «Littérature» من اللاتينية «Litteratura» أي كتابة «Ecriture» ينظر : <http://www.fabula.html>

2 - [http:// www.wikipédia.paralittérature.html](http://www.wikipédia.paralittérature.html)

3- http://www.universalis.fr/encyclopédie/francis_lacassin.

4- ibid

5 - <http://www.Wikipédia.Paralittérature.html>

-
- 6 – Jean MAURICE. Didier DUPONT. Yves REUTEUR. S'appropriier le champ littéraire. éd de bock du culot. Bruxelles. Belgique. 2000. P 122.
- 7 – Jean MAURICE. Didier DUPONT. Yves REUTEUR. S'appropriier le champ littéraire. p 123.
- 8 – J. DUBOIS وظف J. DUBOIS ملفوظ Paralittérature في كتابه Dans la littérature et le Social . flamaraion.paris. 1970. P 65
- 9 – Daniel COUEGNAS. Introduction à la Paralittérature. éd Seuil. Paris. 1992. p 11.
- 10 – Ibid. p p 181-182..
- 11 – Alain Michel BOYER. Frontières du littéraire. ed seuil. Paris. 1995. P 57.
- 12 – J. TYNIANOVE. : De l'évolution littéraire dans la théorie de la littérature. Textes des formalistes Russes. réunis présentés et traduits par TZVETAN Todorov. le seuil. Paris. collection " telquel ". 1965 P 120.
- 13 – Alain Michel BOYER. Frontières du littéraire. P 57.
- 14 – Ibid. P 58.
- 15 – Daniel FONDANECHE. Paralittératures. Vuibert. Paris. P 20.
- 16 – Ecyctopedie Wikipédia : Paralittérature.
- 17 – Alain Michel BOYER. Frontières du littéraire. p 69.
- 18 – TORTEL Jean et Alji . Entretiens sur la paralittérature. Plon. Paris. 1970. P 53
- 19 – Claude LAFAGE. La valeur littéraire. figuration littéraire et usages sociaux des fictions fayard. Paris 1983. p 32.
- 20 – André Mari ROUSEAU et Alji. la littérature d'enfance et de jeunesse. cahier de littérature générale et comparée. Aix N° 3-4.Paris 1978. P 09.
- 21 – Michel COLLOMB. Approche de la littérature populaire. université de clermont II. 1969. P 07.
- 22 – Eva KUSCHNER. Articulation historique de la littérature in mare Argenot et Alji théorie littéraire. puf. Paris 1989. P 117.

23 – Ibid. p 118.

24 – Ibid. P 119.

25 – Ibid. P 120.

26 – Ibid. P 121

27 – Robert ESCARPIT. " Le ghetto de la science fiction. " le monde. 31 Août 1964.

28 – Daniel FONDANECHÉ. Paralittérature. P 119

29 – Voir aussi Eva KUCHNER. Articulation historique. P 119.

وردت هذه الآراء في المراجع التالية:

Pierre VALLADIER. " Science fiction et littérature d'anticipation ", la nouvelle critique. Juin – Juillet 1954. Réponse. " ou la politique va-t-elle se nicher " fiction n° 10. Septembre 1954.

30 – Sophie BREUIL. " Anticipation ou escroquerie à la science ? lettres françaises. n° 21. 28 Juillet 1955. Réponse. " A armes courtoises " fiction n° 24. Novembre 1955.

كثيرة هي المقالات والبحوث التي كتبت رفضاً للأدب الموازي وعلى وجه الخصوص الخيال العلمي نورد منها ما يلي:

Albères (RM). "Faillite de la fiction scientifique". combat. 21Novembre 1957. Réponse : in fiction n° 50, 52, 54.

Preuves. n° 32. Octobre 1953.

31- François TRUFFAUT. " A bas la SF " arts. 16 Avril 1958. Réponses in fiction n° 55. Juin 1958.

* مصطلح الأدبية مصطلح روسي (Literature Nost) وظفه الباحث الشكلاي الروسي رومان جاكبسون (Roman Jacobson) سنة 1919 في مقال له موسوم "الشعر الروسي الجديد" (la Nouvelle Poesies Russes) وانطلاقاً من ملفوظ (Nost) فإن موضوع الأدب ليس الأدب ولكن "الأدبية" أي ما يجعل عملاً ما عملاً أدبياً .

راجع في هذا الشأن :

32- ينظر: نعيم الحمصي، نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه، ج1، مطبوعات جامعة تشرين، اللاذقية، 1979/1978 سوريا.

- 33- ينظر: جلال خشاب، تداولية اللّغز الشعبي، محاضرات في الأدب الشعبي مقدمة لطلبة الماستر جامعة م الشريف مساعدية.
- 34- جورج نبيل سلامة، التراث الشفوي في الشرق الأدنى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1986، ص 50.
- 35- كموضوع الجازية الهلالية وكيف أصبحت والدة ذياب الهلالي شاوية (بربرية) وهي رؤية توفيقية تسعى إلى إرساء وشائج قربي ما بين الهجرات الهلالية والعنصر البربري شمال إفريقيا.
- 36- تعرف هذه الحكاية باسم "الونجة" في الجزائر و بـ "نجمة خضار" بتونس.
- 37- Hélène Tissiére. Ecriture en transhumance entre Maghreb et Afrique subsaharienne : littérature, oralité arts visuel. L'harmattan. Paris. P 133
- 38- Antoine Raybaud. Résurgence de l'oralité dans le Roman Maghrébin. Six conférences sur la littérature africaine de langue Française. Tübingen.1980. P 90.
- 39- لعلّ من أبسط ما يدعم ذلك إعدام باي الكاف للشاعر عبد الكريم الكافي بعد جهر الأخير بالثورة والعصيان في قصيدته الذائعة الصيت: "صري لله والرجوع الربّي".
- 40- ميخائيل نعيمة، الغرّال، دار النهضة، بيروت، ص 48.
- 41- ينظر في هذا الشأن:
- نعيم الحمصي، نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه ج1،2، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة تشرين اللاذقية، سوريا، 1978 - 1979.
- 42- مُحمّد سعدي، من الوحدة إلى التعدد، مجلة آفاق المستقبل، ع7 أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سبتمبر، أكتوبر 2010 ص 82/83.
- 43- جون. ك. نويس، آداب جنوب إفريقيا، مستقبل الدراسات الأدبية ترجمة محمود منذر محمود مُحمّد، ربي محمود، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر 2010، ص 119.
- 44- Questions de poétique. Paris. Seuil. 1974 PP 11.24. Roman JACKOBSON
- 45 - traduction Tzevetan TODOROV.: éd orig prague 1921 degré n°10. 1975. 1976. P 19.
- 46- George MOUNIN . Dictionnaire de la linguistique. puf. Paris. 1974. P P 205. 206.
- 47 - Roman JACKOBSON . La nouvelle poésie Russe. p 15.

48- Ibid. P 49.

49- * الشكلانية التشيكية يمثلها جان ماكروفسكي Jean MUKAROVSKI ، وهي شكلانية ذات خصائص نوعية، تنح إلى الجدلية خلال التحليل، كما أنها لا تحمل بنية النص الأدبي، لكنها تجعلها مستقلة عن البنى الاجتماعية

50 - Ibid. p 50.